المجلة العلمية لكلية الآداب مج 11، ع 2 (2022)، 177 - 209
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

الراوي وانشطار الذات في رواية "عتبات البهجة" لإبراهيم عبدالمجيد

عبدالله محمد كامل عبدالغني
مدرس – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة دمياط.

المستخلص

يحاول البحث رصد ملامح انشطار الذات في حياة الراوي وصديقه (أحمد – حسن) في رواية "عتبات البهجة" لإبراهيم عبدالمجيد، فعبر التاريخ الطويل الذي شهدته مصر وشعبها تغيرت قيمٌ كثيرة فظهرت قيمٌ واختفت أخرى، وظل المثقف في منتصف الطريق حائرًا يتساءل: أين موقعه بالضبط؟ إن حدوث انشطار الذات يُعد علامة على الابتعاد عن حالة السكينة والهدوء، والسلام النفسي. وأخذ المثقفون ينشدون الوصول إلى برّ السكينة والأمان الداخلي بدل عذابات التشظي ونير الانقسام. وفي ظل جدلية الذات الراضية والذات الرافضة، حاول البحث استقراء العوامل والأسباب التي يمكن أن تؤدي بالذات إلى حالة التشتت والتشرذم النفسي. ويقف البحث كذلك أمام اندماج صوت الراوي مع الروائي، عبر عملية إسقاط نفسي يمثل فيه الراوي – على نحو ما وجهة نظر الروائي. ويرصد البحث كذلك تناول الرواية لمعتقدات وأفكار المجتمع المصري، وأثر هذه الثقافة في سلوكيات الراوي وصديقه في حال المرض والصحة، والعمل والزواج، والعلاقات والعادات. من خلال تصوير الرواية لكل هذا عبر ثنائيات متقابلة يتجلى فيها انشطار الذات وتشظيها.

الكلمات المفتاحية: انشطار الذات، إسقاط، تشظي، عتبات البهجة، إبراهيم عبدالمجيد

تاريخ المقالة:
تاريخ اســـــتلام المقالـــة: 15 ابريل 2022
تاريخ استلام النسخة النهائية: 24 ابريل 2022
تاريخ قبـــول المقالـــــة: 30 ابريل 2022

Scientific Journal of Faculty of Arts 11 (2) 2022, 177 - 209
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

Narrator and Self-Fission in Ibrahim Abdel "Magid's novel Thresholds of Joy

Abdullah Mohammed Kamel Abdul Ghani
Lecturer - Department of Arabic Language -Faculty of Arts - Damietta University

Abstract

This research attempts to monitor the self -splitting features in the life of the narrator and his friend (Ahmed -Hassan) in Ibrahim Abdel-Magid's novel, Thresholds of Joy. Throughout the long history of Egypt and its people, many values have changed and others have disappeared. Hence, the intellectual, in the middle of the road, was confused wondering: "Where exactly is his location?" Self-dissociation is a sign of staying out of tranquility, calmness and psychological peace. The intellectuals sought access to peace and internal safety instead of the torments of fragmentation and division. In the context of the dialectic of self-satisfaction and self-rejection, the research has attempted to extrapolate the factors and causes that can lead the self to the state of psychological dispersion and fragmentation. The research also handles the voice of the narrator merging with the novelist through a process of psychological projection in which the narrator somehow represents the novelist's point of view. The research also sorts out the novel's treatment of the Egyptian society's beliefs and ideas, and the impact of this culture on the narrator's and his friend's behaviour in cases of illness and health, work and marriage, relationships and customs. This is all depicted in the novel through introducing opposing binaries that reflect the split and fragmentation of the self.

Keywords: Self-splitting، Fragmentation, Thresholds of Joy, Ibrahim Abdel-Magid.

Article history:
Received 15 April 2022
Received in revised form 24 April 2022
Accepted 30 April 2022

مقدمة

تعد الرواية تعبيرًا قويًا عن ظروف كل مرحلة حضارية تظهر فيها، واستجابة ذات مؤشرٍ فعال على ما يدور في المجتمع والمتغيرات التي تحدث فيه. وامتازت الرواية بهذا بوصفها تتحمل تكثيفات دلالية تجعلها متداخلة مع حقول معرفية ونفسية متعددة، ومن جانب آخر فإن لها - قدرة على التعامل مع الواقع المعاش وتمثيله في إطار فني مبدع.

وهناك بعض الروايات التي تسعى لتفسير السلوك والنشاط الإنساني المعقدين بشكل رمزي، وعلى نحو يعبر "عن الأزمات المصيرية للإنسان المعاصر، وحالة التلاشي واهتزاز القيم وتشتت الذات الفردية والجمعية وغياب المنطق، في ظل غموض الواقع. وعليه تأتي الرواية الجديدة بوصفها فعلًا مقاومًا يعيد النظر في كل شيء، ويسعى إلى تأسيس وعي جديد"[1]. إن الروايات الحديثة تحاول التعبير بشكل كبير عن هموم الوطن عامة وألم الإنسان ومعاناته بشكل خاص، عن الأزمات التي تعصف بسلامه النفسي أو استقراره العاطفي والعقلي. ومحاولة نقل التجربة الفنية بعد الولوج للذات الداخلية، ليبدأ المبدع في "قراءة الواقع كما هو بكل تشظيه وتناقضاته، وينقل صراعات الشخصية الفكرية والنفسية"[2].

وما يميز هذه النصوص الروائية الجديدة أن مبدعيها أعادوا قراءة الواقع من جديد ثم صاغوه بلغة سردية قوية ذات حساسية، لغة تُعري الأزمة وأسبابها في ظل تسارع التغيرات الاجتماعية، وتوتر الإنسان المعاصر الذي يتجاذبه الماضي الهادئ الوديع، ويتطلع في الوقت ذاته إلى حاضر يتجدد ويتقدم بسرعة تفوق إدراكه وقدراته في كافة مناحي الحياة ومجالاتها. فاهتزت ذات الإنسان وشخصيته وحلّ الشك بدل اليقين، وتهاوت قيم وارتفعت أخرى. وأطلت الرواية في هذه الأثناء لتصبح "اختراقًا لا تقليدًا، واستشكالاً لا مطابقة، وإثارة للسؤال لا تقديمًا للأجوبة. ومهاجمة للمجهول لا رضا عن الذات"[3].

إن الرواية بهذا الشكل الحساس تصبح النوع الأدبي الأكثر اتساعًا والأكبر قدرة على استيعاب كل المتغيرات التي يضجُّ بها عالم اليوم في جميع المجالات. هذه المتغيرات المتلاحقة التي سببت حالة من التيه وانشطار الذات في نفس الإنسان المثقف ووعيه، وصار لزامًا عليها أن تجرب "طرائق جديدة تستوعب تلك الحالة، ذلك أن العالم الذي نعيش فيه يتغير بسرعة كبيرة، والتقنيات التقليدية للقصة لم تعد صالحة لاستيعاب جميع العلاقات الجديدة التي تنشأ عن هذا الوضع الجديد"[4].

ويتمتع الروائي إبراهيم عبدالمجيد(•) بهذه الحساسية الفنية التي تخوله فهم ودراية التحولات المحيطة به، فهو يعي التحولات السسيولوجية والسياسية والثقافية التي تشكل وجدان المجتمع وطوائفه المختلفة. وقد كان مقتدراً ودقيقًا في تتبع أحداث كثيرة في حقب سياسية واجتماعية مختلفة. ودفعه هذا إلى التجريب المستمر وارتياد آفاق سردية جديدة في رواياته، وهو بذلك يحذو حذو أستاذه نجيب محفوظ في التجريب السردي الذي لا يتوقف. وقد عبّر عبد المجيد نفسه عن أنه مربوط بحبل سري بنجيب محفوظ. ويمكننا أن نلمح مثل هذه الوشيجة القوية التي تربطهما حينما نرى غزارة إنتاج إبراهيم عبد المجيد، مع كثرة التجريب في سنوات عمره المتأخرة كما نطالعه عند محفوظ تمامًا(5).

يستطيع عبد المجيد بحرفية ووعي أن يؤول أشياء العالم والشخصيات والأمكنة المختلفة لتتداخل جميعها معبرة عن أزمة المثقف المعاصر، بين ماضٍ يحنّ إليه وواقع لا يتكيف معه. ويعبر عن حالات العزلة والتهميش والمعاناة، وكذلك الرغبة في التحول والاندماج واللحاق الحثيث بالتغيرات المتسارعة. كما يحاول عبد المجيد جاهداً تأويل التجارب الإنسانية البسيطة ورسمها بفنية، لتتحمل دلالات مكثفة قوية عن الواقع، فتشخص علة الإنسان المأزوم.

ونراه يمارس لعبة الاختفاء والتشتيت من خلال حبكة مركبة تصور انشطار ذات الراوي، لتُبين "طبيعة هذه الذات التي تبدو أحيانًا وكأنها انفصلت عن منتج النص أو الكاتب الحقيقي، ففي السير والتراجم واليوميات التي ينظر إليها في الغالب بوصفها تجارب ذاتية؛ تبدو الذات

• كاتب وروائي مصري، ولد بالإسكندرية عام 1946، تخرج في جامعة الإسكندرية قسم الفلسفة عام 1973م، تنقل في وظائف كثيرة في وزارة الثقافة. وكان عضواً في هيئة النشر بالهيئة العامة للكتاب، ورأس تحرير سلسلة (كتبات جديدة). وله أعمال كثيرة ضربت بسهم وافر في مجالات عدة، فمن الروايات: برج العذراء – طيور العنبر – لا أحد ينام في الإسكندرية – البلدة الأخرى – ثلاثية الهروب من الذاكرة ... إلخ.
ومن المجموعات القصصية: الشجرة والعصافير – فضاءات – سفن قديمة – إغلاق النوافذ... إلخ. وله كتب متنوعة مثل: أين تذهب طيور المحيط – غواية الإسكندرية.
نال جوائز كثيرة منها: جائزة نجيب محفوظ التي تمنحها الجامعة الأمريكية بالقاهرة وذلك في عام 1996م، وفي ذات العام حصل على جائزة معرض القاهرة الدولي للكتاب عن أفضل رواية. وفي عام 2004م حصل على جائزة الدولة للتفوق الأدبي، ثم جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام 2007م.

أكثر تجليًا ووضوحًا وقابلة للتحديد والتعريف. فالكاتب يقدم نفسه باعتباره شخصية سردية تضيئ الحبكة وتقود الأحداث"[6].

وتمثل رواية (عتبات البهجة) إحدى هذه الروايات الجديدة التي تمتلك حساسية تجاه الهوية والوعي والذات، بمحاولتها استنطاق الواقع وما يكنه من مضمرات. ومكتشفة أنساقًا فكرية وثقافية متعددة عند أفراده تؤثر في سلوكهم وذواتهم. ولا تغفل هذه الروايات كذلك الجانب الفني، فرواية (عتبات البهجة) قد سلكت جانبًا فنيًا يقوم على الانفتاح الثقافي والوعي بما حدث من تحولات في العالم المعاصر، وما يستتبع ذلك من تحول في الوعي لدى المبدع والمتلقي على حدٍ سواء، فالأمر كما قال آلان ر.جرييه: "إن ما يطلبه المؤلف من القارئ ليس استقبال عالم كامل ممتلئ مغلق على نفسه، بل بالعكس إنه يسأله أن يسهم في عملية الخلق، وأن يخترع بدوره العمل الذي يقرأ والعالم أيضًا، وأن يتعلم بهذه الطريقة أن يخلق حياته هو"[7].

ومن المهم الإشارة إلى بعض الدراسات السابقة التي أفاد منها البحث في استنطاق الرواية التي حاولت تناول ذات الراوي وانشطارها النفسي والفكري، للتدليل على انقسام الذات المعاصرة ووقوعها في براثن الاغتراب. فمن هذه الدراسات:

1- تقنيات السرد في رواية "عتبات البهجة" لإبراهيم عبدالمجيد، الدكتورة سحر حسين شريف، مجلة بحوث كلية الآداب، 76ع، المنوفية يناير 2009.

تناولت هذه الدراسة مقاربة نظرية تضمنت مفهوم السرد ومكوناته، ومفهوم الرؤية السردية وطبقت على الرواية بتناولها زاوية الرؤية فيها من الداخل - مع – من الخارج. ثم تعرضت لبيان الشخصيات الرئيسة والثانوية في رواية عتبات البهجة، ثم انتقلت للزمن السردي لتكشف عن أقسام الزمن في الرواية: زمن تاريخي وزمن طبيعي، وزمن نفسي، وسلطت الدراسة الضوء على الوصف في رواية عتبات البهجة، كوصف الأماكن والشخصيات، وأخيرًا تعرضت لبنية اللغة السردية في الرواية.

2- أزمة منتصف العمر والانحراف الجنسي قراءة نفسية في "عتبات البهجة" لإبراهيم عبد المجيد، الدكتور خالد محمد عبدالغني، مجلة الرواية - قضايا وآفاق، الهيئة المصرية العامة للكتاب،5ع، القاهرة 2010، ص ص 132 – 141.

أجرى هذه الدراسة طبيب نفسي، حيث اتخذ الرواية مدخلاً لعرض نماذج من الشخصيات المريضة نفسيًا قام بتشخيصها أثناء عمله. ثم تناول شخصيات الرواية وبيان تشريح المبدع لها بما يظهر التناص بينها

وبين الأمراض النفسية المعروفة، ركز البحث على مرض الانحراف الجنسي عند الرجال في فترة منتصف العمر، وشرح أعراضه النفسية والجسمية، ومدى وضوح هذه الأعراض على بطلي الرواية (الصديقين)، وأشارت الدراسة كذلك لنوعي الانحراف السحاق وزنا الزوجات وطريقة تناول الرواية لهما. وأخيراً تناولت الدراسة وجود الرمز في الرواية من خلال رمزي (الحديقة – رجال الشرطة)، فقد رأى الكاتب أن الحديقة رمز لمصر، ورجال الشرطة يمثلون السلطة الحاكمة.

3- عتبات البهجة بين الحزن الخاص والعام، عبدالرحمن عوف، مجلة الرواية – قضايا وآفاق، 5ع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2020، ص ص 109 – 110.

حاول الكاتب خلال مقاله القصير قراءة المسكوت عنه في رواية عتبات البهجة، وكانت هذه القراءة من خلال نقطتين، الأولى: موهبة الكاتب وخبرته الكبيرة التي خولته الالتحام بحيوات الشخصيات في روايته، مما أثقل هذه الشخصيات وجعل لها حضورًا قويًا بيّن من خلاله أزمة كثير من المثقفين. والثانية: قُرب الكاتب من الروائي بشكل وثيق، وتأكيده أن الراوي (أحمد) هو ذاته الروائي بكل انكساراته ومرضه الأخير، وشعور المحنة الذي لفّه مؤخرًا. وأكد المقال على وجود إيحاءات ورموز في النص الروائي، حيث أشار في عجالة إلى بعض هذه الرموز مثل: الحديقة – جنود الشرطة – الساعات المتوقفة.

4- مراجعة الذاكرة بين الضحك والبكاء – السرد والنوع الأدبي في رسائل إلى لا أحد، الدكتور إبراهيم منصور، مجلة ميريت الثقافية، 37ع، دار ميريت للنشر، القاهرة يناير 2022، ص ص 170 – 180.

تناولت الدراسة المدونة السردية التي نشرها الكاتب إبراهيم عبدالمجيد بعوان "رسائل إلى لا أحد"؛ إذ حاولت الدراسة تصنيف هذه الرسائل تحت جنس أدبي محدد، وأجابت عن سؤال مهم هو: إلى من توجه هذه الرسائل؟ وبينت الدراسة كذلك حالة الارتباط الوثيق بين الحياة الحالية للكاتب وكذا حياته السابقة في الإسكندرية وذكرياته فيها؛ وبين أدبه ونتاجه. كما أشار البحث إلى ظهور الالتزام الأيدولوجي للكاتب في نتاجه الإبداعي، وأبرزت الدراسة أهم التكنيكات السردية التي اعتمدها عبد المجيد في هذه الرسائل، مبرزة أهم خصائص الأسلوب السردي له في هذه المدونة.

1. مقاربة المفاهيم والمصطلحات

يحمل لفظ الانشطار مدلولات عميقة تظهر في المعنى اللغوي الدال على الانقسام إلى شطرين، أو نصفين. كما يقول ابن فارس في مقاييسه "الشين والطاء والراء أصلان يدل أحدهما على نصف الشيء، والآخر على البعد والمواجهة"[8]. فالشطر هنا كما يتضمن التعريف السابق يشير إلى البعد، ومن بعده تحدث المواجهة بين النصفين اللذين كانا شيئًا واحداً لا يتجزأ؛ ثم استحال إلى عدو يتواجه.

أصبح هنالك اغتراب وبعدٌ نفسي بعد القرب المادي الذي كان يُرى، ويتضمن التعريف كذلك إيحاءً بالابتعاد؛ إذ تفضل الذات عدم المواجهة المستمرة بعد تملك شعور الاغتراب منها وتؤثر السلامة والانعزال، لتتخفف من ألم ومعاناة ملتهبين إذا حدثت المواجهة بين شطريها.

وتتعدد تعريفات الذات وفقًا لاختلاف المجالات والحقول المعرفية التي تتناولها، حيث يتنوع التعريف تبعًا لاتجاهات الباحث الفكرية واهتمامه البحثي. ومن ثم سنجد تعريفًا للذات في مجال (علم النفس- الفلسفة – النقد الأدبي – علم الاجتماع... إلخ)، والذات subject كمصطلح يشير إلى إحساس الفرد بكونه موحداً ومصدراً للفعل الواعي. وإذا بدأنا من التعريف اللغوي فإننا نجد في المعجم الوسيط عن الذات " ذات: مؤنث ذو بمعنى صاحب، وذات الشيء حقيقته وخاصته، ويقال عيب ذاتي وخلقي. والذات: النفس والشخص، ويقال عرفه من ذات نفسه .. سريرته المضمرة، وذات الصدر سريرة الإنسان"[9].

ويتضح من التعريف السابق أنها حقيقة الإنسان وتصوره المتكامل عن نفسه، وكذلك ما يخفيه الآخرون وخباياهم، فهي إذاً حقيقة الفرد وكنهه. وقريب من هذا المعنى ما نجده من تعريف للذات بوصفها إطار لا يتجزأ، فهي "بناء يفترض وجوده باعتباره أساس تحقيق الاتصال بين خبراتنا جميعًا، أي الأساس الذي يجمع الأجزاء في كل منظم ومتصل"[10]. إن النظرة هنا إلى مفهوم الذات تتكامل وتتوحد، فالذات شيء متصل منظم من جميع خبرات ومعارف الإنسان الواحد، ووعيه وإدراكه كذلك لا بد أن يكون موحدًا لا مُفتتًا ولا منشطرًا، وهنا يمكن النظر إلى الذات بوصفها اتجاهات الشخص وإحساسه بنفسه وحقيقته الكلية.

والسؤال هنا هل الذات المطروحة للبحث والدرس هي الأفعال الناتجة عن شخص ما والسلوكيات التي تنتج عن أفكاره ومعتقداته؟ أم هي الذات نفسها التي هي مصدر هذه الفعال والسلوكيات؟ إن البحث في الذات سواءٌ أكانت الشخصية الفاعلة أم الأفعال الناتجة عنها إنما هو بحثٌ عن حقيقة الوجود بالأساس.

فالإنسان "في سعيه للبحث عن ذاته وتحقيقها هو في الوقت عينه يسعى لتحقيق وجوده، ومن هنا جاءت رؤية مارتن هيدجر بأن الإنسان لا يمكن أن يحقق وجوده إلا حين يحقق ذاته، إن عليّ أن أكون موجودًا وعليّ أن أحقق ذاتي"[11]. وإذاً فإننا في قراءتنا هذه سننظر للذات على أنها سمات الشخص النفسية والاجتماعية، وكذا العمليات الموحدة التي ينطلق منها الفرد في تعامله مع كل ما يحيط به من البيئة المحيطة، وأي اختلاف أو بعد عن هذا الإطار الموحد السوي هو انشطار وتشظٍ.

وتنطلق قراءة رواية إبراهيم عبدالمجيد "عتبات البهجة" في إطار المنهج الوصفي التحليلي، إذ يتوجب استقراء الكثير من الدلالات الاجتماعية والتاريخية واستنباط المؤشرات منها وتناولها بالتأويل والتفسير. وكذلك فالقراءة النفسية لا غنى عنها في هذا البحث وتمحيص معنى الرواية؛ من خلال الولوج إلى شخصياتها وفتح أبواب نفوسهم. وتطلبت طبيعة الرواية هذا المنهج فهي نصٌ يحمل طاقة نفسية غنية الدلالات، ويمتلك قدراً كبيراً من الإيحاء والتأثير. ويتيح المنهج النفسي فرصة لسبر أغوار النص الروائي وتقصي مساربه باستمرار، وكذا فالقراءة النفسية تستشرف "الجوانب المكونة للنص من قضايا اللاشعور والكبت والغرائز، والقضايا النفسية الأخرى، مما يعني أن تحليل النص نفسيًا هو قراءة تعيده إلى تكوينه النفسي. وصحيح أن القراءة النفسية قائمة أساسًا على جملة من المنظومات النفسية المتقنة، وهي كعملية تستدعي الاحتراز والدقة"[12].

2. ملخص الرواية

تدور رواية "عتبات البهجة" محوريًا حول قصة رجلين قاربا سن التقاعد، نعرف الأول والذي يحكي عنه الراوي ويدعى (حسن)، ويعمل الاثنان كلاهما مديرًا في إحدى المصالح الحكومية، وتتأخر معرفتنا باسم الراوي حتى منتصف الرواية تقريبًا، إذ نعرف أن اسمه (أحمد)، إنها حكاية رجلين في نهاية العقد الخامس من عمرهما وقد اعتورتهما الأمراض البدنية والنفسية. وقد أضفى الروائي الكثير من الواقعية والحيوية على شخصية الصديق (حسن)، فهو يشبه الكثير من الشخصيات التي نراها حولنا في الواقع المعاش من خلال حكاياته وأولاده وزوجته.

تتناول الرواية سرد (أحمد) لحياته مع صديقه (حسن) وخروجهما كل يوم للتسكع وارتياد الحديقة المزهرة التي لا يلتفت إليها أحد، وملاحظتهما لكل شيء يحدث أو يقال أمامهما، ومناوشتهما لكل من يتكلم معهما. تحكي عن حياة (أحمد) بعد وفاة زوجته منذ خمسة أعوام مضت واتخاذه لـ (دنيا) حبيبة ورفيقة له، تلك الخليلة التي انتهت حياتها

بالانتحار وأسهم ذلك في شعور أحمد العميق بالاغتراب والوحدة وإثم الذنب لأنه هجرها قبل انتحارها مباشرة.

أما حياة (حسن) فهي تجسيد لانشطار الذات المتمثل في النسيان المتكرر، والمشاكل التي لا تنتهي مع زوجته، والتعليق على كل المشاهدات قبولاً أو رفضًا. وتنتهي الرواية حين يشتري الصديقان لكلبين بنية تربيتهما – لطاعة الكلاب التامة لأصحابها- سداً لحالة الفراغ والملل التي يحسان بها، والوحدة التي تملأ حياتهما. ويصبح آخر مشهد في الرواية وهما يمنحان الكلبين لرجل بسيط ليقوم بتربيتهما ثم بيعهما، لتبدأ تجارته في الكلاب ويستطيع التكسب من هذه التجارة.

3. رمزية الرواية

إن رواية "عتبات البهجة" ذات حساسية نفسية بامتياز، رواية مليئة برموز بعيدة الغور. فمصر تعبر عنها الحديقة التي انشغل عنها الناس ولا يرتادها أحد، ولا يشعر بجمالها أحد ممن يمرون عليها ليل نهار، فهم أناس قد أنهكتهم الحياة بمتاعبها وأحمالها. وكذلك فالسلطة ممثلة في العقيد عباس وكمين الشرطة الذي لا يبارح مكانه بجانب الحديقة، وتشير الرواية لضحايا السلطة بشكل بارز غير خفي. وكذلك تشير الرواية لحياة الطبقة الفقيرة في مصر وهم كثُر بادون للعين، فقد تراهم ينامون في الحديقة التي يرتادها الصديقان، وتمثلهم بائعة الشاي وابنتها وحفيدها، كما تمثل بائعة الحلوى وزوجها بعضًا من سلوكيات هذه الفئة المهمشة البائسة.

ونرى في هذه الرواية عملية الإسقاط جلية للعين، حين نرى الكاتب (إبراهيم عبدالمجيد) يستنطق شخصية الراوي (أحمد) بما يُوحد بينهما في بعض الأمور، إذ يجمعهما مرض القلب ومشاكله، وما يستتبع ذلك من إجراء فحوصات وتحليلات، وكذا الخوف مما هو آت من مضاعفات هذا المرض، وإلى هذا أشار عبد المجيد في كتابه (ما وراء الكتابة)، حيث يقول في معرض حديثه عن رواية عتبات البهجة "أنا أكتب الآن، أسابق الزمن قبل أن يحدد الأطباء ما سيفعلون بي وبقلبي، وأفكر يا ترى في النهاية كيف ستكون الأمور؟ وأشعر بالرضا في كل الأحوال، فالله سيختار لي ما يحبه حياة أو موتًا. وما يحبه الله لا يكرهه أحد"[13].

ويقولها صراحة في ذات الكتاب – أن أحداث هذه الرواية مأخوذة من الواقع الذي يحياه، وأن صديق الراوي (حسن) هو في الحقيقة صديقه (محمد كشيك)، وأنه كتب الرواية وأعاد كتابتها ثانية "لم ننقطع أنا ومحمد كشيك عن الخروج، لكن لم يعد ذلك كل يوم. لم أخبره بالرواية إلا بعد أن انتهيت من نصفها بعد شهور، لكن ما كدت أصل إلى ذلك

حتى وجدت رغبة قوية أن أعيدها بضمير المتكلم وليس الغائب. أعدت الفصل الأول بضمير المتكلم فأضاء أمامي واتسع بنا الفضاء"[14].

وبذا؛ سنصبح بقراءتنا لهذه الرواية أمام تكشفٍ لشخصية - الراوي - يُسقط عليها المبدع ذاته، أحلامه وأمانيه، معاناته وألمه، مناجاته وطموحاته. إننا أمام ذات تتجلى فيها معاني الانكسار والانشطار، وتتداعى فيها الأفكار والمشاعر كالسيل الذي لا ينقطع، تحنّ للماضي وتتخوف من المستقبل، ذاتٌ يُداخلها شعورٌ جارف بالفشل وأنها لم تكمل أبدًا ما بدأت فيه، حين يؤكد (حسن) أنه ودّ في ريعان شبابه لو كان شاعرًا، و(أحمد) كان يطمح لو أصبح كاتبًا مرموقًا. ولما لم تتحقق الأمنيتان سيطر عليهما شعور الفشل فلا يفارقهما، وعوضًا عن النظر للمستقبل والسعي لتحقيق الذات، أصبحا يجتران الماضي وذكرياته ويحاولان الولوج إلى عتبات البهجة في حاضرهما المتأزم.

4. تحليل الرواية

أولاً: عتبات النص

تعددت العتبات النصية في الرواية، بدءًا من عتبة العنوان وحتى كلمة الناشر على ظهر الغلاف الخارجي لها. وتتحمل عتبات الرواية الكثير من الدلالات والإيحاءات بجانب الدلالة الوصفية والترويجية. واكتسبت العتبات هذه الأهمية بوصفها ذات موقع متميز بين أطراف العملية الإبداعية، فهي "عقد شعري بين الكاتب والكتابة من جهة، وعقد قرائي بينه وبين الجمهور وقرائه من جهة أخرى، وعقد تجاري إشهاري بينه وبين الناشر من جهة ثالثة"[15].

وأول العتبات في الرواية هي عتبة العنوان (عتبات البهجة)، وهو عنوان لا تبدو وظيفته الدلالية واضحة وضوحًا كاملاً، لحذف الخبر واقتصاره على المبتدأ والمضاف إليه، مما يترك الباب مفتوحًا أمام المتلقي لينطلق بخياله الرحب، ومحاولة من السارد لتوريطه في التفسير، وإشراكه في العملية السردية والتأويلية، وكذلك خلق تجربة تنتج مفارقة قائمة على اختلاف العنوان مع ما ينتظر القارئ بالداخل من مآس وتشظٍ لشخصيات الرواية، هذه المفارقة مقصودة بحد ذاتها للعنوان، إذ "تتلبسه المفارقة العريقة التي ينتجها تساؤل المتلقي، لأن العنوان يفاجئ ويحير بحسب المعرفة التي يخلقها"[16].

وتوجد إشارات دلالية في جزءي العنوان كذلك، حيث جاء الجمع (عتبات) ليشير إلى المكان الذي يتخيله الإنسان عن عتبة الباب الخارجية، ويقف عليه لبرهة قبل ولوجه للمنزل، ومعلوم أن الأسماء تدل على السكون والاستقرار عكس الفعل الذي يعني الحركة والنشاط.

وبذلك فإن دلالة العنوان تمضي قدمًا لترسيخ مفهوم السكون وعدم تحقق البهجة مع تعدد عتباتها، وكأن الراوي المأزوم نفسيًا الذي تتجاذبه اتجاهات عدة – ناتجة عن انشطار ذاته، لا تكتمل أبداً عملية دخوله إلى عالم البهجة، بل يتوقف على عتباتها ليضمحل الفعل الإنساني المبتهج بعد اقتصاره على الوقوف على عتبات البهجة.

وكما بدأ الكاتب بهذا العنوان، أنهى روايته بهذا المفهوم بعد شرح رؤيته له حين قال على لسان (حسن): **"الوقوف على عتبات البهجة دائمًا أفضل من البهجة نفسها، أجل، البهجة أمر سهل لكن إذا طمعت فيها قتلتك وأهلكتك"**(17)، يعمق الكاتب هذا المفهوم الذي يرتضيه عن البهجة، فالتمتع لا يكون بها مباشرة بل بانتظارها والوقوف أمامها لا هي ذاتها.

أما عتبات الفصول فذات مغزى إشاري واضح دالٌ على انشطار ذات الراوي (أحمد)، وتمزقه بين ما يفكر فيه من مثالية وما يراه من واقع يثخنه بالجراح والهموم. فقد جاءت عتبات الفصول كلها على شكل ثابت وواضح، حيث يأتي سطر أول يليه في السطر الثاني حرف (أو)، ثم سطر أخير فقط. ويعبر هذا الشكل التركيبي لعتبات الفصول عن دلالة واضحة حول ما يعيشه البطل الراوي من أزمة نفسية عميقة الشرخ، ملكت عليه كامل تفكيره وحولت حياته إلى جحيم فكري، يقترب من الشلل التام لحياته جميعًا.

"كيف اكتشفنا أن هناك دائمًا وقتين في كل وقت

أو

لماذا يختل ميزان الأمم بسبب نقص خل التفاح"؟(18)، يؤكد الراوي أن رأس (حسن) تربط بين أمرين لا رابط بينهما في الواقع، ولكنها مفهومة في ظل حالة التخبط الذي يعيشه بسبب الهلاوس التي تنتابه مؤخراً، فهو قابع في بيته قلقًا حائرًا تتملكه كآبة مستمرة، وتتهمه زوجته بالجنون والغرابة، وفي ذات الوقت يفكر في البنت الصغيرة (سعيدة) المزهرة المشرقة، بنت بائعة الشاي بالحديقة، ويقضي معها وقتًا لذيذاً (في مخيلته فقط). ففي كل وقتٍ إذاً يقبع وقتان، وسبب تقدم الأمم لديه هو تناول قادتها وساستها لخل التفاح الذي يزيد من ذكاء متناوله في زعمه، وهنا يطل الانشطار النفسي برأسه، حيث تحصره المعاناة من خلال وقتٍ كريه يكبله بأغلاله الثقيلة، ويرنو هو بذات أخرى منفصلة عن هذا الواقع إلى أمرٍ آخر يستشعر فيه لذته وبهجته، ثم يفيق على الواقع الأليم بعد ذلك.

"كيف لم يعد حسن يعرف النور من الظلام!

أو

لماذا يجب أن تتعطل ذاكرة الناس؟"[19]، تهجم حالة من التيه واليأس على صديق الراوي (حسن) تجعله في حالة شعورية مزرية، يرى فيها الظلام نوراً والعكس، حالة يود فيها لو ينسى ما يفكر فيه من ذكريات تؤلم وتنكأ جراحه. يود في ذاته الواعية أن يتوقف تتداعي الذكريات والأفكار التي تؤرقه، يتمنى لو يعتريه النسيان ويلفه. لأنه أصبح لا يفرق بين الحق والباطل ولا بين الصواب والخطأ، إنها حالة عجيبة تحيل ذاته الواعية إلى ذات أخرى تتوهم حدوث ما لم يحدث. ويمكن أن نشير إلى أن وجود حرف التخيير والشك (أو) له دلالته أيضًا، إذ يمعن في ترسيخ حالة الحيرة والريب والتيه الذي يعيشه الراوي، فلا هو بقادر على إكمال حياته كما كانت، ولا هو بقادر على النجاح ولا تحقيق ما يصبو إليه. وولّد له ذلك انفصامًا في سلوكه وتفكيره حيث يبدأ في فعل الشيء وهو متأكد أنه خاطئ ويعلم يقينًا أنه لن ينجح ولن يستمر، ويضحك على ذلك ويستمر فيه.

أما العتبة الأخيرة فهي عتبة كلمة الناشر في ظهر الغلاف الأخير للرواية، حيث الرسالة التي يُراد للمتلقي أن يأخذها من الرواية، والتي فهمها الناشر من خلال تأويله لمفردات وسياقات النص الروائي. يقول: **"أبطال هذه الرواية الجديدة لإبراهيم عبدالمجيد بسطاء في مشاعرهم، أبرياء في استقبال العالم من حولهم، وحيدون يلوذون ببعضهم، ينتصرون على القسوة التي تحاصرهم بالدهشة الدائمة التي تتجلى في أكثر من أسلوب من السخرية، إلى روح الدعابة إلى القلق إلى الوداعة والرضا. مجسدة لمحفل جميل تختلف فيه طرق الناس للانتصار على الوقت بالاستمرار فيه، إنها رواية عن حيرة الإنسان في العالم، رغم ما ينسكب فيها من فكاهة ومرح"**[20].

تؤكد هذه العتبة على الأزمة التي يمر بها المثقف في العصر الحاضر، حيث الانفصام عن الواقع وحيرته واضطرابه وخوفه الدائم من الانكسار واغترابه عن المجتمع، وشعوره الدائم بالوحدة في ظل انشغال الناس بمتطلبات الحياة والمعيشة، وأشارت العتبة كذلك إلى التشريح النفسي لشخصيات العمل، وهذا ما سيراه المتلقي في النص حين يرى شخصيات العمل وقد تباينت مشاعرهم، ويلمسها متناقضة ومتأرجحة فهم مصدومون وفرحون، حزانى ومكتئبون مع ذلك، وهم متذكرون وناسون أيضًا، عندهم اطمئنان مشوب بقلق. شخصيات تحاول التكيف مع مجتمع يتسارع في كل المجالات والضغط يزيد مع سرعة هذه التغيرات. تشير هذه العتبة إلى مجهود الكاتب في رصد حالة الإنسان

المعاصر، وتوثيق أوجاع الفئات المسحوقة عبر فتح السؤال الجدي: ما جدوى الحياة؟ وما مصير الإنسان؟

ثانيًا: انشطار الذات في ظل المعاناة

1- الوحدة والاغتراب

لن نُدهش كثيراً حين نجد شعور الرفض والاغتراب الناتجان عن الوحدة مُنبثًا في أرجاء الرواية، فقد انكسر قلب الراوي (أحمد) مرة بعد مرة، تارة بفقد زوجته، وتارة أخرى ببعد أبنائه عنه وعدم رؤيتهم إلا في فترات متباعدة، وسبب كل هذا تعبًا في قلبه وضيقًا في شريانه التاجي وضعفًا في عملية ضخّ الدم لأجزاء الجسم. وتجلت مظاهر كثيرة من أعراض الاغتراب أهمها فقدان الشغف والاهتمام بما يدور في المجتمع، بعد "وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به بصورة تتجسد في عدم الانتماء والسخط والقلق، وما يصاحب ذلك من سلوك أو شعور بفقدان المعنى أو اللامبالاة"[21].

تنامى شعور الوحدة في ذات الراوي (أحمد)، وكذلك صديقه (حسن)، ولذلك قررا الانسحاب الشعوري بعد أن تولد شعور بالاغتراب والرفض لما يدور في المجتمع، ونُقضت العرى التي تقرن الراوي بالمجتمع بعد "فقدان القيم والمثل الإنسانية، والخضوع لواقع اجتماعي يتحكم فيه ويستعبده. حينئذٍ يشعر الإنسان بالانفصال والانعزال عن الآخر؛ حتى عن ذاته"[22]. لقد تنامى شعور الراوي بأن ما يجري حوله لا يعنيه لأن لديه ما يشغله نفسيًا وفكريًا، بالإضافة لرفضه المتزايد لأفكار وسلوكيات هذا المجتمع.

يطل هذا الشعور برأسه مع أول سطر من الرواية، ففي مطلع الصفحة الأولى نجد الراوي (أحمد) يقرر أنه فقد الاهتمام بالذهاب إلى أي مكان، ولم يعد يعنيه إلى أين سيذهب أو حتى يُقاد **"تركت نفسي لحسن يأخذني من ذراعي إلى الحديقة الصغيرة التي على طرف الميدان ... لم أتصور من قبل أنها حديقة يمكن ان يرتادها الناس"**[23]، سيطرت حالة من الانعزال النفسي على أحمد بعد وفاة زوجته، وانشغاله بمرضه العضال الذي لم يعلم به إلا مؤخراً، كل هذه العوامل أدت إلى حبه للوحدة التي أصبح ينشد راحته فيها. ولكن (حسن) يأتي ويأخذه من بيته وهو غير مهتم بالمرة إلى أين سيذهب هو ورفيقه فالأمر سيان، وتجلى الشعور بالاغتراب في سلوك اللامبالاة الذي نراه في الكلمة الأولى في الرواية (تركت)، فمعنى الترك والبعد وعدم الاهتمام يشع منها وكذا عدم ارتباطه بشيء في البيئة والمجتمع.

ويتطور هذا الشعور لدى الراوي ليسبب له حالة من التشظي والانشطار في ذاته، فجزء يعي أنه مرّ من هذا المكان كثيراً ويعرفها،

وجزء آخر يرفض ويؤكد أنه ولأول مرة يرى هذه الحديقة وتلك الأماكن، وهذا يستدعي سؤالاً من ذاته الحائرة **"ما معنى الوقوف للفرجة على مكان اعتدت العبور عليه أكثر من عشرين سنة؟"**(24)، إنه لا يرى هذا المكان عندما تسيطر ذاته غير الواعية، إذ يهيمن شعور الوحدة عليه وهو وسط الناس، وهذا الأمر يؤكد أن هذا الشعور في طريقه ليصبح مرضًا، قد يفضي إلى الانطوائية والبعد عن كل ما هو اجتماعي **"أدركت أنني لست وحدي. قلت: ربما لأن سيارات الميكروباص تقف جوار الحديقة لنقل الناس إلى وسط المدينة"**(25).

ماذا يعني أن الراوي لا يسمع ضجيجًا حوله وهو يصمُّ الآذان! وأنه لا يرى زحامًا يغلق المكان من حوله! إنه التقوقع داخل النفس وهيمنة شعور الوحدة والاغتراب عما هو محيط، إنه بالداخل يجتر ذكرياته ويفكر في معاناته، توجد عربات كثيرة أمامه وناس يمرون أفواجًا بعد أفواج، وبائعون جائلون للملابس والحلوى والشاي، ومع ذلك تكتشف الذات الواعية – في غفلة من الذات الغافية – أن هناك بشراً وعربات وضجيجًا، لقد انعدم الاندماج النفسي بين الراوي والبيئة المحيطة.

ومن مظاهر الاغتراب والوحدة ذلك الشعور المؤلم باللامعنى، حيث يشعر المرء أنه لا منطقية في الحياة ومن ثم لا جدوى منها، وأن الحياة عبث وضربٌ من الهراء ولا طائل من وراء مشوار العمر. ويتعاظم إحساس الفرد بأن الحياة لا معنى لها، ويصبح "منفصلاً انفصالاً حاداً لم يسبق له مثيل، سواء عن الطبيعة، أو المجتمع، أو الدولة، أو الله، حتى نفسه وأفعاله ... فلم يعد قادراً على إقامة الجسور التي بينه وبين الآخر المختلف المظاهر والمتعدد الأسماء، ويصبح - من ثم – عاجزاً عن تحقيق ذاته ووجوده"(26). ونرى مثل هذا الشعور طاغيًا على الراوي حين يفقد الاهتمام بكل ما يدور حوله حتى كلام صديقه الذي يخرج معه كل يوم، والذي تدور نقطة ارتكاز حياته في الوقت الحالي عليه **"لم يكن يعنيني أن يكون التفسير معقولاً أو لا، فأنا الليلة مهموم بسبب ما قاله الطبيب لي"**(27)، يقع الراوي (أحمد) بين ذاتين إحداهما تصول وتجول بالداخل، مؤرقة بسبب تعب يعصف بوجودها من الأساس، وهذا ما جعل الذات الواعية المدركة لاهية عما يدور حولها، ولا تهتم بما يدور بالخارج، وحتى لا يعنيها أن تتأكد من صحة ما يقال لها ومعقوليته من الأساس.

ويمكن لذات الراوي (أحمد) الواعية أن تحلل وتدرك أسباب هذا الحزن والتأثر، وسبب الاغتراب النفسي وما جعله يفقد الشغف ولم سيطرت حالة من الزهد في كل شيء عليه؟ وتركه لنفسه يترهل ويسمن دون مراعاة (الريجيم) الذي كان مواظبًا عليه **"قلتُ وقد تأثرتُ قليلاً:**

كان الحب هو سبب الريجيم كما تعرف، ضاع الحب انتهى الريجيم. هتف حسن بحماسه الذي كثيراً ما يظهر فجأة: لكن أنت تستطيع أن تحب أنا أعرفك"[28]، إنها إشارة قوية من السارد إلى الجفاف العاطفي الذي بدأ يطحن المجتمع بظلاله القاتمة، فتتحول بسببه الأفراح إلى أتراح، والخصوبة إلى جفاف واقعي في حياة البشر. فيفقدون بفقد الحب كل معنى للحياة، ولا يستلذون بعد ذلك بأي متعة أو بهجة، فقد الراوي (أحمد) حبه فانكسرت إرادته وضعفت عزيمته، وانتهى به المطاف إلى إنسان معزول عما حوله، رافض في قرارة ذاته لكل ما يراه. وأدى ذلك إلى وحدته وعدم اهتمامه بأي شيء، ليتبلور شعور نهائي بالعجز والهزيمة الداخلية، ليفضل بعد ذلك "الانسحاب والبعد عن التعامل مع الجماعة، وعدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية، والتمركز حول الذات والانغلاق، ورفض القوانين والمعايير الاجتماعية والثقافية"[29].

إن (أحمد) أصبح يرى بعين حزنه كل ما حوله، فالأماكن وحيدة باردة، والناس حزانى مكتئبون، والأحداث فاترة مملة **"فجأة وجدنا زحامًا على الرصيف، رجالاً ونساء وشبابًا وصبية مكفهرين، وبعضهم بدا حزينًا وبائسًا أيضًا، منهم من يقف غاضبًا متحفزاً. بدت النساء أكثر قلقًا من الرجال"**[30]، لقد ظهر شعور الوحدة والاغتراب في شكل مادي من خلال رؤية كل ما في المحيط بهذه الروح والمشاعر، فالعين لا تقع إلا على ما يمت للألم والحزن بصلة كما تحياها ذاته الداخلية. تلك الذات التي بسطت سيطرتها على كل ما تراه وتشعر وتتكلم به الذات الواعية. وكأن الراوي أراد للجميع أن يتوحدوا مع ما يشعر به من ضنى وشجن، ويحسون جميعًا بما يحس به، ولعله من جهة أخرى يود (الراوي) أن يؤكد أنه ليس بمريض وأن حالته هذه هي حالة عامة متفشية في المجتمع، وعلى المسؤولين أن يبحثوا بجد عن أسباب غياب البهجة عن نفوس المصريين، ولم غابت البسمة عن شفاههم.

ومن المظاهر النفسية لشعور الاغتراب والوحدة هو سيادة شعور اللامعيارية، ويقصد بها شعور الفرد "بانعدام القاعدة أو ضعف المعيار، والمعيار شرط ضروري لتنسيق قيم المجتمع وبيان علاقتها ببعضها من حيث أهميتها التراتبية"[31]، وفي هذه الحالة يهيمن على الفرد شعور عارم بغياب المنطقية عن كل شيء حوله، وغياب الضوابط الحاكمة لكل أمر يتأمل فيه. وأن ما يجري أمامه هو عبثٌ وفوضى، وهذا كله يسبب له تشظٍ نفسي وانشطار في ذاته بين ما يجب أن يراه من توافق للمعايير الأخلاقية أو الاجتماعية، وبين ما يسود بالفعل من عبثية تضرب أطنابها في كل الأرجاء.

وهذه اللامعيارية جعلت (حسن) صديق الراوي يتساءل **"أنا يا أخي لا أفهم كيف يضرب رجل زوجته ثم ينام معها بعد ذلك، قلتُ: الغريزة أقوى من الكره"**[32]، حالة من التخبط يراها (حسن) في فئات مهمشة ومسحوقة، اختفت لديهم الضوابط المعيارية للسلوك الإنساني المتزن، وجعله ذلك يتساءل متعجبًا أهذا منطق سليم؟ لقد رأى هذا المشهد في الحديقة التي لا يلتفت إليها أحد ولا يهتم بها إنسان، والتي ترمز إلى مصر، وجعله هذا يتحسر على تحكم الفوضوية في سلوكيات الناس. فلا انتماء ولا معيار منطقي يحتكم إليه هؤلاء البشر، وأصبحت حياتهم ضربًا من الفوضى. وسوف يؤدي الشعور باللامعيارية لدى الراوي في نهاية المطاف إلى حالة التمرد والرفض من ذاته اللاوعية، فترفض كل ما يحيط بها لتكون الخاتمة هي أن تتملكها حالة من الكره والعداء لهذه المظاهر التي تسبب انشطارها وتشظيها النفسي.

2- اضطراب الذاكرة (طمس)

يعد اختلال الذاكرة أمراً نفسيًا بامتياز، والاضطراب Disorder "هو خلل في الوظائف البدنية أو النفسية يؤدي إلى حالة مرضية"[33]، أما الذاكرة بصفة عامة هي "المكان الذي يقوم فيه العقل الواعي باستقبال المعلومات وترميزها وخزنها، واستعادتها وقت الحاجة"[34]. فاضطراب الذاكرة يعني خللاً في استرجاع المعلومات التي تم تخزينها مسبقًا، أو وجود خلل في تخزين المعلومات من الأساس. وقد يكون السبب في ذلك عضويًا مثل الأمراض البدنية والعقلية، وقد يكون نفسيًا ويؤدي إلى نفس النتيجة، فتتعدد "العوامل النفسية المؤدية إلى اضطراب الذاكرة مثل الاكتئاب، أو الخوف نتيجة تعرض الإنسان لخبر صادم"[35].

ويتضح من سرد الراوي قصده المتعمد لمحاولة طمس الذاكرة، هروبًا من الواقع الذي يسبب له انشطاراً في ذاته وتعبًا في نفسه، فهو يرى معاناته ومعاناة صديقه (حسن) ويقدم التساؤل الذي يضنيه **"كيف لم يعد حسن يعرف النور من الظلام!**

أو

لماذا يجب أن تتعطل ذاكرة الناس؟"[36]

يستفحل الألم في حياة البطلين فتتحطم حياتهما، ويتمنى الراوي (أحمد) لو تتعطل الذاكرة فلا تستدعي ما يؤلم الذات الواعية، بينما نرى ذاته الواعية تعيش جوانب من البهجة الخفية التي تبث في جوانحها سعادة مفقودة، وسروراً مفقوداً. أو لعل الراوي كذلك يشير لحال مصر بين الماضي الجميل والحاضر ذي الوجه الكالح الأغبر، حين يقارن – مثلاً- كورنيش النيل وجماله في السابق لكثرة وجود المسطحات الخضراء

على جانبيه، والآن حيث هجمت الوحوش الإسمنتية القبيحة فاقتلعت ذلك الجمال واجتثته. مثل هذه المفارقات تسبب له انشطاراً في ذاته يتمنى معها لو تتعطل ذاكرته فلا تستدعي مثل هذه الذكريات ثانية.

إن حالة انطماس الذاكرة لدى بطلي الرواية حالة غريبة، إذ هما يسعيان إليها سعيًا حثيثًا، فـ(أحمد) ومن ورائه (حسن) لا يتصوران أن يتم تداعي كل ذكريات المرء دفعة واحدة فتسيطر عليه، إنه بذلك سيكون عرضة للانفجار، بالتأكيد لن تتحمل الرأس كل هذا. وحتى مع تصور (حسن) بأن ثمة علاج نباتي يمكن أن يتوصل إليه البشر يجعل الإنسان قادراً على تذكر أدق اللحظات السابقة **"الإنسان قريبًا سيستطيع بطب النباتات أن يتذكر لحظة ميلاده وحياته في رحم أمه قبل الميلاد. قلتُ: لكن ذلك سيكون صعبًا يا حسن! فيكفي الإنسان ما يتذكره! قال: إن الحق معي"**(37)، لا يتصور الراوي (أحمد) أن هناك عبئًا جديداً سيضاف على الذاكرة، إذ تكفي ذكريات الألم والوحدة والأحبة الذين غادروا، والجمال الذي اضمحل. يكفي كل ذلك ليشكل قوة ضاغطة على الذاكرة يجعلها تضطرب. فهل نزيدُ الضغط بأن نجعلها تتذكر لحظات الرحم وما بعدها!

ويربط الراوي هذه الحالة النفسية الفردية بحالة المجتمع المصري، ليؤكد أن هذه حالة عامة وأن جموع المصريين لا شك سيتعبون كثيراً إذا امتلكوا ذاكرة مثل هذه **"تصور أنت المصريين وهم يتذكرون كل شيء منذ وجودهم في الأرحام حتى الآن! لا بد ستنفجر رؤوسهم"**(38)، يؤكد الراوي أن الأمر ليس خاصًا به وفقط، بل إن المخزون الجمعي لدى المصريين سوف يكون بغيضًا وثقيلاً، وتصل حالة الانشطار الذاتي والتشظي إلى أوجها لدى الجميع مما يسبب انفجاراً في رؤوسهم أجمعين.

ويشيع مع اضطراب الذاكرة وحالة استدعاء ما يؤلم شعورٌ بالتحسر والتفجع الشديد، وهي – أي الذكريات – تضغط من تلقاء نفسها لتطل من الذات اللاواعية إلى الإدراك والذاكرة الواعية فتسبب ألمًا فوق ألم **"أجنبية! هل قلت اجنبية! يا لها من ذكرى تطل عليّ الان بعد أكثر من ثلاثين سنة، كيف حقًا واتتني الجرأة؟"**(39)، إن الغلبة في حالة انشطار الذات ستكون لما يؤلم ويُتعب، فلماذا لا تستريح الذاكرة المجهدة ولا تقوم باجترار الماضي الذي يسبب لها هذا الشرخ النفسي والاضطراب؟ هل تشعر بالمتعة حين تجتر هذه الذكريات! هل هذا الاستدعاء مصدر خفي للبهجة في البداية ثم للألم والتعب بعد ذلك؟

ونرى كذلك الإسقاط الذي يقوم به الراوي (أحمد) على صديقه (حسن)، إذ يؤكد على اضطراب الذاكرة لديه وعلى تشوش عملية التذكر والتفكير كذلك، وأنه حالته قد ساءت لدرجة تصل إلى الخرف حين يتخيل

كلامًا لم يقله الراوي (أحمد) وهو يردده، أو يستدعي أحداثًا لم تحدث من الأساس. وأن هناك خلطًا في ذاكرته بين الصواب والخطأ أو ما حدث وما لم يحدث. فهل كان يقصد نفسه أم (حسن)؟

لقد تكرر هذا المعنى كثيراً في الرواية ويكفي أن نشير إلى موضعين اثنين، ففي صفحة (29) يندهش (أحمد) من كلام (حسن) حين يعاتبه بأنه ذكر رجلاً ميتًا أمامه، في حين أنه لم يفعل **"البهجة تحيط بي وأنا أتذكر أحاديث حسن، ولكني كنت مندهشًا جداً لأني لم أحدثه قط عن صديق قديم لي مات كما قال"**، ويكرر الراوي مثل هذه المواقف مع (حسن)، فقد حدثت مواقف شبيهة مع زوجته حين أراد أن يهدم عشة البط والفراخ ويزيل بطارية الأرانب، وهي تؤكد له أن هذه الأشياء قد أزيلت منذ **مدة "أجاب: قالت لي أي بطارية! لقد بعناها منذ زمن. نظرتُ إليه في دهشة، قال هو أيضًا في استغراب: لما سألتها من أين تأتي بالأرانب التي نأكلها أجابت أنها تشتريها، طلب منها أن تهدم عشة الفراخ وعشة البط، فقالت أنها فعلت ذلك من زمان أيضًا"**[40].

يزول العجب من كثرة تكرار الراوي لمواقف اضطراب الذاكرة عند (حسن)عندما نعلم أنها عملية إسقاط نفسي، والمقصود هي ذاته. يتكشف هذا الأمر حين يصرح هو نفسه في أكثر من موضع في الرواية بذلك، ويقرر أن الأوهام تسلطت عليه وأن الذاكرة تبني أوهامًا متراتبة على فكرة واهية أو غير حقيقية، وأن الحقيقة التي تقلقه هي في أصلها سراب **"إذ اكتشفت بعد أن طمأنني على حالة نفسي أنني لم أشتر شقة ولا شقتين حتى الآن، وأنني لم أبع شقة الإسكندرية أصلاً، ولم أوقع عقداً من أي نوع، الحكاية كلها فكرة تمكنت مني فصارت حقيقة وهي سراب"**[41]، إنها محض عملية نفسية بحتة، يخلع فيها الراوي أوهامه ومخاوفه ورغباته على غيره. ولم يجد غير صديقه (حسن) ليسقط عليه ذلك كله، ومن مظاهر انشطار الذات اللجوء للإسقاط حيث "الحيلة اللاشعورية التي ينسب فيها الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكرهة، ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها إلى غيره من الناس. أو الأشياء أو الأقدار أو سوء الطالع وذلك تنزيهًا لنفسه، وتحفظًا مما يشعر به من القلق والخجل أو النقص والذنب"[42].

إن رغبة الراوي (أحمد) في الإسقاط النفسي نابعة من إرادته الهروب من الذاكرة، وما يؤلمه من تداعياتها. إنه يود لو تتوقف آلة الزمن عن الدوران وساعات الكون عن العمل، صرح بذلك في فصل كامل بدءًا من عتبته التي يقول فيها بطريقة التردد والشك عن طريق حرف (أو): **"كيف توقفت الساعة / أو / لماذا لم نسمع في السرادق إلا آيات الجحيم"**[43]، ويتكرر المعنى حرفيًا في الصفحات التالية،

ويكرره على لسان (حسن) **"ولكنه استطرد: أمس صحوت من النوم فوجدت جميع الساعات متوقفة، تعرف أني أضع ساعة حائط في كل غرفة، كلها رأيتها متوقفة حتى ساعة يدي ... قلتُ في يأس: يبدو أن الزمن توقف فعلاً. قال: لكن ساعتك تعمل! قلتُ: دنيا ماتت"**(44)، لم تتوقف محاولة الذات الواعية لدى الراوي عن عملية الإسقاط النفسي، فيقدم أحلامه وأمانيه من خلال (حسن)، إنه يتمنى أن تتوقف الحياة عند نقطة معينة فلا تتجاوزها. يريد لذاكرته أن تُطمس فلا يتذكر أي شيء بخلاف لحظات معينة، فغيرها يؤلمه ويشظيه. ولكن (حسن) يؤكد له أن ساعته تعمل أي أن حياتك ما زالت قائمة، ومحالٌ أن توقف تداعي ذكرياتك، ستتألم ذاتك المدركة، وفي لحظة استفاقة يردد الراوي الحقيقة: دنيا ماتت.

إن عملية اضطراب الذاكرة وطمس بعض الذكريات في رواية (عتبات البهجة) أمرٌ مرهون بقضية تَقدُم مصر وتحضرها، فعملية تقدم مصر وازدهارها أمر يراه الراوي متوقفًا، إذ توقف الزمن عند نقطة قبيحة في سلم تطور الأمم والأوطان. إنه لا يرى سوى الفوضى والغوغائية تطلق سهامها في كل شبر من الوطن، ويسبب له هذا الأمر انشطاراً وأزمة نفسية عميقة، ويولد لديه حالة من التردي في ذاكرته ومشاعره ولجأ بدوره إلى بعض الحيل النفسية للتغلب على هذا الانشطار والانقسام بداخله.

3- الفشل والتردد – الإحباط

يحدث كثيراً أن يفشل الإنسان ويعاود المحاولة حتى يدرك النجاح ويصل لمبتغاه، ولكن حالة الراوي وصديقه هي مزيج نفسي تكون من فشلٍ متكرر والتردد في اتخاذ القرارات المناسبة، وأدى ذلك بهما إلى الشعور الجارف بالإحباط، شعور قاتل يلازمهما نتيجة للفشل وتكرار الفشل في أية أمور أو أعمال يقومان بها. ويمكن أن ينتج عن الإحباطات المستمرة أمراض عضوية كما حدث للراوي (أحمد)، ويحدث الإحباط "عندما يجد الفرد أن طريقه لتحقيق هدف ما قد أغلق أو سدّ أو هدد، أي عندما يرغب في الحصول على شيء ما ولكنه لا يستطيع الحصول عليه، فالإنسان يمر بخبرات من الفشل كل يوم تقريبًا، وحين لا يحصل الفرد على حاجاته وحقه يشعر بالفشل، إذاً فالإحباط يحدث عندما يعجز الفرد عن إشباع حاجاته"(45).

ويؤدي الإحباط المستمر الناتج عن الفشل إلى تأزم المرء وشعوره المتعمق بانسداد كل سبل النجاح في حياته، كما أنه يصبح ضعيفًا أمام صعوبات الحياة وعوائقها التي يتوجب عليه أن يتكيف معها ويناطحها حتى يصل لمبتغاه. والقدرة على تحمل الإحباطات المختلفة والتكيف

معها دليل على النضج الانفعالي والعقلي والاجتماعي، ويمكن أن يكون العائق المؤدي للإحباط "خارجيًا من بيئة معادية، أو ظروفًا اجتماعية غير ملائمة، وربما يكون داخليًا نتيجة قصور في الشخصية، أو صراعات نفسية أو مشاعر ذنب تقعد بالمرء عن تحقيق ما كان يريد تحقيقه. وقد يستجيب المرء للإحباط بالعدوان أو النكوص أو التثبيت"(46).

ومن مظاهر انشطار الذات شعورها المستمر بحالة من الإحباط، وعدم الإنجاز، فتراها مترددة تشعر بالفشل المستمر. ومن الواضح سيطرة الشعور بالفشل وعدم تحقيق أي انجاز على الشخصيتين الرئيسيتين (أحمد) وصديقه (حسن)، وبهذا الشعور أنهى الراوي كلامه في الحكاية كلها، ففي نهاية الرواية يؤكد سيطرة الفشل وعدم الإنجاز عليهما سويًا، **فيقرر "فكرت فجأة أننا على قدر تحمسنا لأي شيء لا نكمله أو لا يكتمل، قبل أن أسأله عن سر ذلك ... لم أقتنع بكلامه لكن كالعادة صدقته ... ومشينا صامتين"**(47)، إن مصر بدأت في مجملها مشوار نهضتها ولم تكتمل ولم تزهر لعوامل عديدة، فظلت في وهدة السقوط ولم تتقدم خطوة للأمام، ولم يرها الراوي – السارد في المكان الذي يحبه لها.

ويرمي الراوي – لسبب ما – بتبعات عدم اكتمال الإنجاز أو تقدم مصر بعيداً عن كاهله، فقال (لا يكتمل)، لتكتمل صورة التردي النفسي والانشطار حين يلقي المرء باللوم على غيره في فشله، وهذا أمر غير مستغرب من إنسان سيطر عليه العجز وتعمق انشطار ذاته، حتى وصل لمرحلة أيقن فيها أن كل أبواب النجاح قد سُدت في وجهه. فقد كان الراوي (أحمد) يود في مطلع شبابه لو كان كاتبًا، وصديقه (حسن) طمح أن يكون شاعراً ولم يتحقق هدف هذا ولا ذاك ولم تنفذ لهما إرادة، وصار (أحمد)- على سبيل المثال – إنسانًا مسلوب الإرادة كما يقول عن نفسه: **"مد يده أمسك الطوق من يدي فتركته له مسلوب الإرادة غير مصدق"**(48)، ولكن ذاته في قرارة نفسه مصدقة لما يجري، إنها إرادته هي التي ذوت واضمحلت، إنه شعور الفشل والعجز وهو يعرفه جيداً. فكما فقد حبيبته (دنيا) واختطفها الموت بالانتحار - وشعر بالإثم وأنه سبب ذلك وما حدث لها، نجده زيادة على ذلك يفقد إرادته ويُسلبها من قبل صديقه – المسلوب الإرادة هو أيضًا، وكأن الفشل والتردد في الأمور المصيرية يلقي بظلاله في أبسط الأمور وأصغرها في الواقع المعيش، مما جعله لا يقوى على اتخاذ قرار بسيط مثل الاحتفاظ بالكلب وتربيته، أو التصدق به على رجل فقير ليتكسب من بيعه بعد ذلك.

إن حالة الإحباط والتردي النفسي التي يمر بها الراوي هي حالة رمزية لقطاع عريض من ذوي الثقافة الواعية المستبصرة، ذلك الإنسان المثقف الذي يشعر بحالة إحباط وعدم الإنجاز، سواء على صعيد البلد ككل أو على صعيده الفردي الضيق، إن إدراك النجاح والشعور بتحقق الذات، فبلوغ الأهداف يحمي الذات من الانشطار والتشرذم، وانعدام ذلك يكون من أول مسببات التشظي النفسي وقهرها، وانشطار الذات بين أحلام نسجتها وواقع ينقض هذه الأحلام ويحولها لرماد تذروه الرياح.

ويعمل تكرار الإحباط على "ضعف قدرة الفرد على التحمل أيًا كانت قوته، لأن الفروقات الشخصية بين الأفراد تتأثر مع تكرار الإحباط ويختلف تأثيره والآثار الناتجة عنه باختلاف الشخصية"(49)، وتزداد قسوة الإحباط إذ تملك الإنسان شعور بأن كل شيء يعمل ضده، ويعوقه عن بلوغ أهدافه ومساعيه، وهو عين الشعور الذي ملأ ذات الراوي (أحمد) حين قرر ذلك على لسان (حسن) صديقه **"العالم كله ينفتح أمامك ثم بعد ذلك أجد كل شيء حولي في الحياة في الاتجاه المعاكس، حتى الجرسون لم يشأ خلط الزنجبيل بالقرفة إلا بعد أن أرشدته"**(50)، أدى الإحباط في المشهد السابق إلى عملية نفسية وهي الهروب العقلي والنفسي الذي يتبناه السارد وهو نفس ما يراه في واقع المجتمع من حوله. فـ (حسن) لا يني عن تصفح الإنترنت وولوج عالمه إلا لأنه عالم مطيع لين طوع بنانه، بعكس الواقع الأليم الذي يعانده ويقف حجر عثرة في طريق تقدمه.

وبالقياس فإن المصريين كذلك لا يفارقون شاشات هواتفهم وحواسيبهم وشاشات الفضائيات لهذا السبب، يبتغون التسلية والنسيان في ذات الوقت، يرغبون بالانشغال النفسي عما بات يؤرقهم. تُرى هل تجدي النصيحة وتؤتي أكلها حين ينصحهم الراوي بأن يخففوا من اللجوء للوسائط التكنولوجية؟ إن انشطار الذات واضحٌ هنا، فالذات اللاوعية تنشد الراحة بأي شكل حتى وأن كان تحققها عبر عملية هروب نفسي، تدركها الذات وتتعامل معها.

إن الفشل المتكرر في حياة المرء النفسية والواقعية، يؤدي إلى الاستسلام الخانع للحياة ومحاولة استساغة هذه المحبطات. فها هو (حسن) يقول لصديقه الراوي أنه **"صعب أن تظل ثلاثين عامًا تصعد إلى الدور الخامس وتنزل منه كل يوم"**(51)، أليس في وسع الإنسان أن يحاول تغيير ما يتعبه منذ ثلاثين سنة؟ أليس من الواجب على المرء السعي في تغيير واقعه المحبط والمؤلم لآخر مبهج وسعيد؟ تتابعت محاولة الراوي من خلال الإسقاط النفسي وإبعاد شبح الفشل من على نفسه ليرمي بهذا الفشل على مؤسسة العمل على سبيل المثال، فهو

المثابر المجتهد، الصبور في عمله، ولكن بيئة العمل ومديره كذلك هم سبب فشل العمل برمته **"كان عليّ أن أذهب إلى حسن هذه المرة، حدثتني زوجته أمينة في التليفون باكية: حسن لم يعد يذهب إلى العمل، اتصلوا يسألون عنه ويقولون أن الموقف ساء جداً ... ورغم أن تقديري للمسألة لم يكن مخيفًا كما تتخيل أمينة قررت أن أذهب إلى بيتهما، لم أستطع أن أقول لها إننا نعمل في هيئة لا يهتم رئيسها بأي شيء، ولا يعنيه أن تتقدم أو تتأخر، تكسب أو تخسر، شأنه في ذلك شأن جميع مسؤولي البلاد"**(52).

لا يتوقف السارد أبداً عن محاولته الربط بين المواقف الشخصية والحالة العامة للبلاد، إذ يرى أن جميع الوزارات والهيئات في مصر تهتم بشكليات العمل على حساب جودته، إن العمل وبيئته في مصر أحد أسباب إصابة المصريين بحالة الإحباط والشعور بعدم الإنجاز الوظيفي، فالروتين والملل والبيئة الخانقة تؤدي إلى تعطيل العمل لا تقدمه، ويصل الأمر بـ (حسن) و(أحمد) إلى الانقطاع عن العمل وعدم الذهاب بتاتًا إلى مكان عملهما. فالأمر من وجهة نظرهما سيان كما هو عند مديرهما، أن تكسب المؤسسة أو تخسر تتقدم أو تتأخر فهذا ليس في حسبان القائمين عليها فلماذا يهتمان هما؟ ولماذا سيحرصان على تقدم العمل إذا كان المسؤولون لا يفعلون!

وقد يترتب على شعور الإحباط أنماط سلوكية غير متوقعة، وتدهور في الأفعال المتزنة لدى المرء، ويحدث ارتداد إلى سلوكيات غير ناضجة "فعندما يحبط الشخص يشعر بالتوتر والضيق، ويتدهور تفاعله الاجتماعي ويرفض التعاون. ويقل إقباله على الأعمال البناءة ويضعف فهمه للمواقف، وينغلق تفكره. ومن ثم يلجأ إلى أساليب غير مناسبة لسنه ولا للموقف"(53). وهذا ما يسوقه الراوي (أحمد) كثيراً عن صديقه (حسن) بشكل إسقاطي **"قالت لي قبل أن أتكلم: الحاج حسن يلعب مع الأطفال، أشارت إلى نهاية الحديقة أسرعت إليه فوجدته يدور في دائرة صغيرة، وفي فيه زمارة والأطفال طابور يمسكون في بعضهم وفي ظهره، ويزمرون معه ويضحكون، رآني فهتف"**(54). لقد رسم الراوي هذا المشهد الوصفي نكوصًا في السلوك المترتب على إحباطات متوالية عند (حسن) فنجده يلعب مع الأطفال في الشارع والجري وراءهم - وهو الرجل الذي قارب الستين من عمره، ومن ثم فإن احتمالية صدور مثل هذه السلوكيات غير الناضجة وغير المتزنة يكون كبيراً، في عدم تحقق الذات، وانشطارها سيكون احتمالاً قويًا في ظل هذه السلوكيات غير المتوقعة، من شخصية فشلت في تحقيق أحلامها أو انجاز النجاح في أي مجال.

ويؤدي الإحباط المتوالي إلى سيطرة الأماني التي يعرف الفرد أنها لن تتحقق، وهي إشارة قوية لما يحب أن يراه الراوي متحققًا في بلده مصر، فهو يودّ لو تهتم مصر ببنيها وتحقق لهم رغباتهم وطموحاتهم. تكرر هذه الأحلام والأماني على لسان (حسن) كثيراً كما في صفحتي 212 – 213 فنراه يتمنى لو تقوم زوجته أمينة باستقباله على باب شقتهما عندما تستشعر قدومه **"حين أعود ستسمع أمينة صوت وقع قدمي على السلم وستفتح لي الباب قبل أن أدق الجرس، كانت تفعل ذلك دائمًا..."**، ويكرر ذات المعنى **"ويقول شارداً: أنا متأكد أن أمينة ستسمع صوت وقع قدمي على السلم الليلة وستفتح لي الباب قبل أن أدق الجرس"**، إنها الأماني التي لن تتحقق على أرض الواقع، والأحلام التي ليس لها بناء في الحياة. هل يا ترى سيشعر المسؤولون يومًا برغبات المواطن المهمش واحتياجاته قبل أن ينطق بها؟ ويبح صوته بالمطالبة بها! ويعرفون أن هذا الشعب له احتياجات بديهية ليس عليه أن يطالب بها.

إن حالة التيه والحيرة أحد أسباب الإحباط، وفي بيئة (أحمد) و(حسن) تكثُر عوامل التخبط والتردد، ولعل من أشدها هو أن يضل الإنسان طريقه في الحياة نتيجة لتحمله إثم وذنب ما بشكل مستمر، ولا يستطيع الفكاك منه، فها هو الراوي يتساءل **"كيف ضللت الطريق إلى البيت / أو / لماذا لا يمكن أن أتزوج أبداً؟"**[55]، إنه يحمل فوق كاهله عبء موت زوجته منذ خمس سنوات، ومن بعدها انتحار حبيبته (دنيا)، والتي يتحمل اسمها دلالة إشارة لترمز إلى الدنيا ذات المسرات التي كانت تمثل له بهجة كبرى في حياته، وبمغادرة (دنيا) لحياته بالانتحار غادرته البهجة كذلك ولزمه التعب ومشاكل القلب وألمه، وصار موجوعاً على الدوام. ترى هل يقصد الراوي نفسه أم عموم أبناء وطنه؟ حين يصفهم في غير موضع من الرواية بأنهم مكفهرو الوجوه، تجهمت ملامحهم وزاغت نظراتهم، فهل أصبحت الكآبة ديدن بني وطنه؟ هل فارقت البهجة بيوت وعقول أفراد المجتمع؟ سؤال يؤرقه ولا إجابة.

ثالثًا: انشطار الذات والثنائيات المتقابلة

ينتج انشطار الذات لتذبذبها بين أمرين متقابلين، إذ يحدث أن تتحير الذات بين الأمرين فتتشظى فنجد ذاتًا في اتجاه وأخرى في عكسها، وهو أمر يمزق السلام النفسي للشخصية لوجود التعارض فيما تراه أمامها. أو تعارض بين ما هو مطلوب منها وبين ما تستطيع فعله. والثنائيات الضدية "تنشأ من شعورين مختلفين يوقظان الإحساس، وواحد من هذين الشعورين فقط هو الذي يستثمر نظام الإدراك في الوعي، والثاني يظل في اللاوعي"[56]، إن أحد المسببات الرئيسة لانشطار الذات وقلقها

المستمر هو وقوعها بين متضادين في آن واحد، وتذبذبها بينهما. ويترتب على ذلك حيرتها الشديدة عندما يكون مطلوبًا منها الاختيار بينهما، مع عدم وجود مرونة في الاختيار أو بيئة مناسبة له.

وتساعد المتقابلات السردية على الربط بين الأمور المتباعدة لتقريب فهمها، وتثير في نفس المتلقي عواطف متعددة ومختلفة لأنه يلمس هذه المفارقة بوجود التنافر بين القطبين. كما أنها تعمل على كسر السياق والخروج على نمطيته مما يؤدي إلى حالة من التأمل العميق في النص والتفاعل معه. ومن ثم يتولد نصٌ متميز في علاقاته الزمانية والمكانية وحبكته عبر هذه الثنائيات المتقابلة، وتنشأ بنية لغوية "وليدة فكر معرفي يتحرك وينسج مسار حركة، ويتشكل تاريخيًا، وثمة ثنائيات كثيرة لها أشد الحضور في حياتنا، فلا وجود لشيء دون نقيضه"(57).

وتعج رواية (عتبات البهجة) بالثنائيات المتقابلة، حيث نرى الانشطار وتشظي الذات يبلغ ذروته بين هذه المتضادات. وقد أجاد السارد في رسم الحالات المتقابلة مُعمقًا معانٍ كثيرة يبتغيها، متناولاً من خلال هذه الثنائيات قضايا عديدة تمور بها ذات الراوي وصديقه سياسية واجتماعية وثقافية. ولكن أبرزها على الإطلاق في الرواية هي ثنائية المرض والعلاج. وهي ثنائية اجتماعية لا يخلو منها بيت في المجتمع المصري ما دام المرض موجوداً. ويمثل طرفا هذه الثنائية الشخصيتان البارزتان في الرواية (أحمد – حسن)، فالراوي (أحمد) أُصيب بضيق في الشريان التاجي، وهذا يتطلب إجراء فحوصات وأشعات كاشفة، وسعى في ذلك فعلاً ولكن النقيض (حسن) يركز إيمانه في الطب البديل والتداوي بالأعشاب.

يسأل (حسن) صديقه **"متى ستجري الفحص الذري؟**

ـ بعد غد

ـ لن يظهر عندك أي شيء، يا رجل لقد مشينا ثلاثة كيلومترات حتى جئنا إلى هنا، وسنعود مثلها"(58)، يؤيد الراوي (أحمد) خطوة البحث عن العلاج الطبي السليم، وسعى في هذه الخطوات بالفعل. وأيدّ هذه القناعة إقلاعُه عن التدخين، فذاته الواعية تبارك هذه الخطوة المنطقية المعقولة التي تتماشى مع العلم والصواب.

وإن كنا كذلك لا نعدم سماع صوت القلق الذي تُطلقه الذات اللاواعية التي تنهش داخله وتصيبه بالقلق والإجهاد، فيتخوف من الأطباء ومن إجراءاتهم **"سكتُّ لحظات، حدثته عن قلقي الحقيقي مما حدث لصديقنا كريم الذي أجرى أخيراً عملية استبدال ثلاثة من شرايين القلب. فهتف: يا رجل هذا يجعلك تطمئن"**(59)، ويزداد قلقه وتتفاقم حيرته يوم ظهور نتيجة الفحوصات، لقد أصبح مذبذبًا بين بين الأطباء وعلاجهم وبين

اللجوء للطريق الآخر، فقد سأله (حسن) عن النتيجة **"قلتُ: إيجابية. - ماذا تقصد؟ سألني حسن فأجبت: ضيق بسيط في الشريان الأيمن الموصل لعضلة القلب، لكن الدكتور نصحني بعدم إجراء القسطرة الآن. هتف حسن سعيداً بحق: شفت، أنا قلتلك"**(60).

وتتضح معالم الثنائية في طرفها الأول الراوي (أحمد) حين يصرح بقناعته الأخيرة فيما يخص الذهاب إلى الأطباء، وبخاصة أن له تجارب سابقة معهم إبان وفاة زوجته، ونرى في قناعته النهائية انشطاراً لذاته ما بين أمرين، فذات تود الذهاب إلى الأطباء والأخذ بتوجيههم **"الأفضل أن أذهب إلى طبيب كبير، اثنين أو ثلاثة .. أربعة، خمسة أطباء في الحقيقة"**(61)، والذات الأخرى التي تنهش داخله ترفض هذا الرأي متأثرة بتوجهات صديقه (حسن)، فهو لا يصدق الأطباء ولا يثق فيهم وفقًا لهذه الذات الأخرى **"كنتُ شارداً في السقف، حان وقت الذهاب إلى الطبيب لقد ذهبت من قبل كارهًا، لم أعد أثق في الطب ولا الأطباء، ليس بسبب ما جرى لزوجتي فقط، لكن بسبب ما أقرأه في الصحف عن الذين يموتون في المستشفيات. وما رأيته في المستشفيات من إهمال"**(62). لقد برز أثر التضاد في شخصية الراوي في هذه الثنائية، حيث نرى التردد واضحًا والقناعات متضادة، بين قبول الأطباء ونصحهم ورفض ذلك كله.

ويطالعنا الطرف الثاني في الثنائية (حسن)، تلك الشخصية التي تؤمن بجدوى العلاج بالأعشاب والطب البديل، فينصح صديقه الراوي بترك كلام الأطباء جانبًا والأخذ بوصفاته العشبية. والحق أن تكرار هذه القناعة في طول الرواية وعرضها يستوقفنا لنتأمل دلالة هذه الإشارات. فها هو (حسن) ينصح صديقه **"لا تأخذ أي أدوية للضغط، اشرب كركديه وشراب الدوم وقرفة مخلوطة بالزنجبيل، وكل بصل بقدر ما تستطيع وفصين ثوم صباح ومساء"**(63)، إن (حسن) على الجانب الآخر- مع تذبذب الأول في قناعته أيضًا – يوجه صديقه بعدم الاعتماد على معطيات الطب الحديث، والاتجاه كلية للأعشاب والمشروبات، وكأن هذه الوصفات ستوسع الشريان الذي ضاق.

تشكك شخصية (حسن) في كل ما يقوم به الأطباء، حتى رسم القلب بالمجهود لا يسلم من ريبه، ويتشكك في قدرة الطبيب الذي يُجريه **"اتركني أذهب معك، ستخضع أيضًا لرسم القلب بالمجهود، هذا خطر، الدكتور ممكن يسرح وينام ويسيبك على جهاز الحركة تموت"**(64)، أي طبيب هذا الذي يمكن أن يترك مريضه ليموت وهو يفحصه! ولكنه التعبير عن قناعات سائدة لدى أعداد ليست بالقليلة من الشعب المصري، يمثل (حسن) هنا صورة منعكسة لطائفة يستهويها مثل هذا النوع من

العلاج بالأعشاب والطب البديل. ويشككون في كل ما هو عصري وحديث في الطب، زاعمين أن تراث العلاج العشبي ذو فعالية وكفاءة أكثر، بالإضافة لأمانه التام.

وما كانت هذه القناعة لتنتشر ويكتب لها الذيوع والبقاء؛ لولا البرامج الفضائية والإعلانات التي تقوم ببث مثل هذا النوع من المحتوى، ويتابعها أمثال (حسن) كل يوم وكل ليلة **"لأنه إلى جانب نشرات الأخبار مولعٌ ببرامج الطب البديل، والعلاج بالنباتات ويرى أن الآفاق مفتوحة للإنسانية كي تكون أكثر صحة وعافية"**(65)، هذا الهوس بمثل هذا العبث البعيد عن الحقائق العلمية، جعل من (حسن) واثقًا من أن (أحمد) سوف يرجع في يومٍ ما إليه وإلى وصفاته **"ستعود في النهاية إلى ما قلته لك، العلاج بالغذاء. تصور قرأت عشرين مقالاً عن زيت بذور الكتان والزيت الحار، وحوالي عشر مقالات عن زيت فول الصويا. زيت فول الصويا رقم واحد في تقوية جهاز المناعة"**(66). إن (حسن) بقناعاته هذه يمثل الطرف الثاني للثنائية، وقد أفرد له السارد كثيراً من الصفحات ليعبر عن وجهة النظر هذه، وجاراه فيها الراوي (أحمد) بشكلٍ أو بآخر.

ويمكن استخدام الثنائيات المتقابلة للربط بين الظواهر التي قد تبدو متعارضة، بإقامة علاقة بينها ثم إظهار الوجه التفارقي الذي يبتغيه المبدع. اعتماداً على أن "صراع الإنسان مع كل هذه الثنائيات الضدية، وسعيه إلى الوصول لحلٍ وسط بينها، يمثلان جوهر تفكير الإنسان منذ العصر القديم إلى اليوم، ولا يكاد يخلو منها عمل أدبي أساسه الرؤية الجمالية الصادقة "(67).

وتوجد ثنائيات أخرى في رواية (عتبات البهجة)، تتناول موضوعات جدلية كبرى وأخرى ذات موضوعات سلوكية خاصة بفئات معينة، وثالثة تتناول قضايا فكرية تثير العقل. وهذا بدوره يؤكد أن الفكر الإنساني قائم على الاختلاف والتعدد والمقابلة، وأن الثنائيات الضدية لها "تأثير قوي في استمرار الصراع، واستمرار الحياة على الرض، وتُظهر الثنائية منظومة فكرية فلسفية حياتية متكاملة، ويبنى على أساس الثنائية الإيقاع الثنائي للعالم وبنيته لأنه مرتبط بالثنائية، حيث التضاد والتوازي، وكل طرف من طرفي الثنائية يسوغ وجود الآخر"(68).

إذ تبرز في الرواية ثنائية تقوم على رصد عنصر المفارقة بين ما كان في مصر منذ فترة - ليست بالبعيدة - من تقدير للجمال، وإعلاء التذوق الجمالي، وما يحدث الآن من انتشار فجّ للقبح وانزواء الجمال والإحساس به. ووضع السارد هنا طرفي هذه الثنائية في شكل حي نابض، حمّلها في شخصية بائع الورد، حيث نراه في مشهد أول وهو

يعرض أصص زرعه وأنواع وروده، ويدور حوار بين الثلاثة عن أنواع الورد المختلفة **"لم تكن هناك أصص كثيرة للورد، كانت حزم الورد أيضًا قليلة، ورد بلدي وزنبق وفل وعصفور الجنة، وقرنفل وياسمين، كان واضحًا أن الرجل اختار المكان ليجرب فيه حظه، وأنه يحضر الورد من مكان قريب"**(69)، ويبرر الراوي قلة المعروض من الورد وقلة البضاعة، وعدم جودتها كذلك بما يحدث للبائع من مضايقات من الشرطة وبخاصة شرطة المرافق، بل إن البائع نفسه ظن الصديقين من شرطة المرافق، كما أن بضاعته لم يعد لها زبائن كثيرون.

وتُصدم ذات الصديقين حين يريان الجانب الآخر من الثنائية، فقد قدم الراوي (أحمد) مشاهدته لما حدث للورد، الذي هو عنوان الجمال والرقي، وباب السعادة والبهجة، فقد **"وجدنا أمام باب القسم وروداً وأزهاراً على الرصيف، وعلى أسفلت الشارع مبعثرة مدهوسة بالأقدام، تضايقنا بحق، وأمسك حسن بذراعي وهو يقول غير مصدق: هل يمكن"؟**(70) إن حزن الذات واغترابها يبلغ مداه في هذه الصورة وتتوحد الذاتان في مشاعرهما حيث المرارة والأسى لحال لا يرغبان في مشاهدتها في الوطن، هل يمكن أن تسود هذه الغوغائية والتدني في بلد يبتغي التقدم والرقي والازدهار؟ إن الورد يرمز لكل ما هو جميل في البلاد وها قد تم دهسه ودعسه بالأقدام، فماذا تبقى من قيم الجمال في بلادنا؟

وهكذا، فإن انشطار الذات يتجلى في البنية السردية من خلال استبطان السارد للرؤية الداخلية "الممتزجة بالشعور والموقف الذاتي والنجوى، والحبكة الممتدة ومنطق الزمن الحر الذي يشبه زمن الأحلام، وامتزاج الوقائع زمانًا ومكانًا، واستبدال المكان الداخلي بالمكان الخارجي المخطط. وشيوع الجيشان والتعقد والتمزق في سياق الرؤية واللغة، بحيث تسقط الحدود بين الداخل والخارج، والظاهر والباطن، والصحو والحلم، وبين الواقعة والخاطرة، والشيء والحس"(71).

وزاد في وضوح انشطار الذات في الرواية التعبير السردي بصيغة المتكلم، وكثرة توجه الراوي بالحديث عن (هو) المتمثل في (حسن)، وهذا أدى بدوره إلى كثير من الإسقاطات النفسية بين الأنا والهو، وجاءت اللغة السردية معضدة لكل هذا حيث امتازت بالعمق في الحكي وكذا التوتر والإيحاء، مع تكثيفات قوية الدلالة.

خاتمة

مثلت رواية (عتبات البهجة) نموذجًا للرواية ذات الحساسية النفسية الجديدة، والتي جعلت غايتها وهدفها الكشف عن أبعاد الشخصية المعاصرة في اغترابها النفسي وتشظيها الفكري. إنها تسعى إلى الكشف

عن مدى تحمل الإنسان المثقف لهذا التغيير السريع في جميع مجالات الحياة ونواحيها المختلفة.

ويمكن أن نستخلص جملة من النتائج في نهاية هذه القراءة التحليلية للرواية:

ـ استطاعت الرواية رسم أبعاد التشظي والانشطار في نفس الراوي وصديقه، بداية من عتبات الرواية، ونهاية بآخر كلمة فيها. ورسمت باقتدار وبكلمات موحية وذات دلالات سردية هذا الانشطار، وبيّنت أن البهجة لم تعد تحتل مكانًا فسيحًا في حياة هذا الإنسان.

ـ نجحت الرواية في بيان بعض الأعراض النفسية المعبرة عن انشطار الذات، مثل الإسقاط النفسي، وتجلى هذا الإسقاط بأوسع صوره في شخصية الصديق (حسن)، حيث أسقط الراوي (أحمد) كل ما يحس به ويفعله عليه، ناهيك عن الإسقاط الخارجي بين شخصية الروائي والراوي. وقامت الرواية بتثبيت هذا المعنى بأقصر طريق، من خلال الصور الوصفية المتتابعة والمنولوجات الاستبطانية التي تدعم هذا الشعور، وبيان مدى عمقه في نفوس الشخصيات.

ـ سلطت الرواية الضوء على شعور الإحباط، وانتشاره بين جموع المصريين، في محاولة منها للإجابة عن تساؤل: لماذا غابت البهجة والبسمة عن مجتمعنا؟ لتدق ناقوس الخطر أمام المسؤولين، لأن الإحباط واليأس لا تقوم معهما نهضة ولا تزدهر بهما حضارة.

ـ كما بيّنت الرواية أثر انشطار الذات على اضطراب الذاكرة وتشتتها، لتؤكد على أن الحالة الجمعية غير مُرضية، وأن الذكريات الجمعية للمصريين لا تبعث على البهجة. وأنها غير مُفرحة في عمومها، وهذا نذير خطر على الصحة النفسية للمجتمع.

ـ أبرزت الرواية عدة قضايا فكرية وسياسية واجتماعية، من خلال تناولها للثنائيات المتقابلة، وكانت لغة السرد فيها قوية وواضحة، مُحملة بتكثيفات دلالية عميقة الدلالة على المفارقة المقصودة.

إن رواية (عتبات البهجة) من النماذج الروائية المجددة للمضمون والشكل في الرواية العربية الجديدة، من خلال تناولها حالة التشتت النفسي وانشطار الذات في نفس الإنسان المثقف، وفشله في اللحاق بالمستجدات والمتغيرات التي تتقدم بسرعة مرهقة له. مع وعي الذات بهذا الانشطار والتشظي ومعاناتها جراء ذلك.

الهوامش والإحالات

1- يُنظر: شكري عزيز الماضي: أنماط الرواية العربية الجديدة، ط.د، عالم المعرفة، الكويت 2008، ص ص14 - 16.

2- مصطفى عطية جمعة: ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، ط1، الوراق للنشر والتوزيع، عمان 2011، ص34.
3- إدوار الخراط: الحساسية الجديدة مقالات في الظاهرة القصصية، ط1، دار الآداب، بيروت 1993، ص11.
4- ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، ت (فريد أنطونيوس)، ط1، دار عويدات، بيروت 1971، ص7.
5- إبراهيم منصور: مراجعة الذاكرة بين الضحك والبكاء – السرد والنوع الأدبي في رسائل إلى لا أحد، مجلة ميريت الثقافية، 37ع، دار ميريت للنشر، القاهرة يناير 2022، ص170.
6- محمد معتصم: خطاب الذات في الأدب العربي، ط1، دار الأمان، الرباط 2007، ص15.
7- جريبه، آلان روب: نحو رواية جديدة، ت (مصطفى إبراهيم مصطفى)، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص 138.
8- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة – تحقيق وضبط (عبدالسلام هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1979، مادة شطر.
9- معجم اللغة العربية (المعجم الوسيط)، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2004، ص307.
10- مصطفى سويف وآخرون: معجم العلوم الاجتماعية، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975، ص279.
11-عبدالرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، جـ2، بيروت 1984، ص602.
12- محمد عيسى: القراءة النفسية للنص الأدبي العربي، مجلة جامعة دمشق، مجـ 19، 1:2ع، دمشق 2003، ص2.
13- إبراهيم عبدالمجيد: ما وراء الكتابة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 2018، ص257.
14- المرجع السابق: ص258.
15- عبدالحق بلعابد: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2008، ص71.
16- شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2004، ص16.
17- إبراهيم عبدالمجيد: عتبات البهجة، دار الشروق، القاهرة 2005، ص246.
18- الرواية: ص49.
19- الرواية: ص77.

20- الرواية: ظهر الغلاف الأخير.
21- صلاح الدين أحمد الجماعي: الاغتراب النفسي الجماعي، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان – الأردن 2010، ص49.
22- إقبال محمد رشيد الحمداني: الاغتراب – التمرد قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن 2011، ص85.
23- الرواية: ص1.
24- الرواية: ص1.
25- الرواية: ص2.
26- محمود رجب: الاغتراب سيرة ومصطلح، ط4، دار المعارف، القاهرة1993، ص6.
27- الرواية: ص2.
28- الرواية: ص12.
29- عبداللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة، القاهرة 2004، ص62.
30- الرواية: ص21.
31- إسكندر نبيل رمزي: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1988، ص96.
32- الرواية: ص ص23 – 24.
33- لطفي الشربيني: موسوعة شرح المصطلحات النفسية، ط1، دار النهضة، بيروت 2001، ص99.
34- عدنان العتوم: علم النفس المعرفي، ط1، دار المسيرة، عمان 2004، ص129.
35- لطفي الشربيني: موسوعة شرح المصطلحات النفسية، مرجع سابق، ص94.
36- الرواية: ص77.
37- الرواية: ص ص38 – 39.
38- الرواية: ص39.
39- الرواية: ص41.
40- الرواية: ص84.
41- الرواية: ص107.
42- أحمد عزت: أصول علم النفس، ط7، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1968، ص55.
43- الرواية: ص142.
44- الرواية: ص147.

45-عبدالرحمن العيسوي: علم النفس الطبي الوقائي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية 2011، ص193.
46-عبدالمنعم الحنفي: الموسوعة النفسية – علم النفس والطب النفسي في حياتنا، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة 2003، ص47.
47- الرواية: ص246.
48- الرواية: ص244.
49- نجاة سالم عبدالله زريقة: الإحباط أسبابه وأنواعه ونتائجه، مجلة القلعة، 9ع، جامعة المرقب – كلية الآداب والعلوم بمسلاتة، الجزائر 2018، ص744.
50- الرواية: ص207.
51- الرواية: ص212.
52- الرواية: ص ص89 - 190.
53- نجاة سالم عبدالله زريقة: الإحباط أسبابه وأنواعه ونتائجه، مرجع سابق، ص248.
54- الرواية: ص210.
55- الرواية: ص165.
56- جان كوهن: اللغة العليا – النظرية الشعرية، ت (أحمد درويش)، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000، ص187.
57- سمر الديوب: مصطلح الثنائيات الضدية، مجلة عالم الفكر، مجـ 14، 1ع، الكويت يوليو / سبتمبر، ص116.
58- الرواية: ص20.
59- الرواية: ص21.
60- الرواية: ص ص55 - 56.
61- الرواية: ص ص61 - 62.
62- الرواية: ص ص79 - 80.
63- الرواية: ص ص20 - 21.
64- الرواية: ص27.
65- الرواية: ص35.
66- الرواية: ص67.
67- نبيلة إبراهيم: نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية، ط1، النادي الأدبي، الرياض1989، ص58.
68- سمر الديوب: الثنائيات الضدية – بحث في المصطلح ودلالته، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف الأشرف2017، ص9.
69- الرواية: ص ص52 -53.

70- الرواية: ص108.
71- إدوار الخراط: الحساسية الجديدة مقالات في الظاهرة القصصية، مرجع سابق، ص ص17 - 18.

المصادر والمراجع

أ- المصادر

1) إبراهيم عبدالمجيد: عتبات البهجة، دار الشروق، القاهرة 2005.
2) ــــــــــــــــ: ما وراء الكتابة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 2018.

ب - المراجع العربية والمترجمة

1) أسامة مدني: قراءات في السرد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2021.
2) بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، ط 1، الأردن 2001.
3) جان بيلمان نويل: التحليل النفسي والأدب، ترجمة (حسن المودن)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1997.
4) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب 2009.
5) حسين المناصرة: مقاربات في السرد، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن 2012.
6) حميد لحمداني: أدبية السرد بين بلاغة الصورة والمنظور السردي، مجلة بلاغات – محور بلاغة الرواية (مجلة متخصصة في تحليل الخطاب تصدر عن مجموعة البحث في البلاغة والأدب)،1ع، القصر الكبير- المغرب 2009.
7) خالد حسين: في نظرية العنوان، دار التكوين، دمشق 2007.
8) رولان بارت: لذة النص، ترجمة (منذر عياشي)، مركز الإنماء القومي، حلب 1994.
9) سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، الجزائر 2012.
10) صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء 2003.
11) عالي بن سرحان عمر القرشي: التشظي والالتحام علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مجـ 13 – جـ 52، السعودية 2004.

12) عبداللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2002.
13) عبدالله إبراهيم: المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت 1990.
14) عزالدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ط1، دار المعارف، القاهرة 1963.
15) فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف، الجزائر 2010.
16) فيصل الغازي النعيمي: العلامة والرواية دراسة سيميائية في أرض السواد لعبدالرحمن المنيف، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان 2010.
17) فيصل عباس: الاغتراب- الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ط 1، دار المنهل اللبناني، بيروت 2007.
18) قحطان أحمد الطاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ط 1، دار وائل، الأردن 2004.
19) ماجد عبدالله القيسي: مستويات اللغة السردية في الرواية العربية، ط 1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان 2015.
20) محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، ط 1، الدار العربية للعلوم، الرباط 2010.
21) محمد فليح الجبوري – فوزية لعيوس غازي: تمثلات الهوية في السرد الروائي، الرضوان للنشر والتوزيع، الأردن 2020.